

المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
العدد السادس والاربعون شهر (٤) ٢٠٢٢

الأثر الصوفيّ والسلفيّ في فكر محمد أحمد المهديّ

Impact of Sufi and Salafi in Muhammad Ahmad al Mahadi Thought

. آدم عبد الرحمن آدم علي Adam Abdelrahman Adam Ali

استاذ التاريخ المشارك - مدير مركز أبحاث تراث دارفور - جامعة الفاشر- السودان

الإيميل adamrojal181@gmail.com

المستخلص

جاءت هذه الدراسة بعنوان الأثر الصوفيّ والسلفيّ في فكر محمد أحمد المهديّ التي تبحث عن فكر محمد أحمد المهدي الذي هو عبارة عن آراء كوّنها عن الاسلام والمسلمين أثناء تجواله واطلاعه ومخالطته للعلماء ومشايخ الصوفية ، فجاءت أفكاره خليطاً بين الصوفية والسلفية . تهدف هذه الدراسة الوقوف على السياحة المعرفية لمحمد أحمد المهديّ وأثر الصوفية والسلفية في فكره . أُتّبع في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي . وخلصت الدراسة إلى انّ فكر محمد أحمد المهديّ قد تكوّن من خلال اتصاله بشيوخه واطلاعه على أمهات الكتب ، ولكن التأثير الأكبر كان بالفكر الصوفي المنتشر في السودان آنذاك ، بجانب السلفية الاسلامية التي تردّ كل الأمر إلى الكتاب والسنة . توصي الدراسة بالتركيز على فكر محمد أحمد المهدي الذي قاد ثورة في السودان استطاع طرد الاتراك والمصريين من السودان ، وما زال فكره حيّاً بين الاجيال لا التركيز على الأنشطة التي قام بها المهديّ .

Abstract

The study is entitled “The Impact of Sufi and Salafi in Muhammad Ahmad al Mahadi Thought,’’ that secreach in Muhammad Ahmed al Mahadi thought, which represents opinions formed about Islam and Muslims, While his wandering, joining and admixture the scientists and Sufism shaykhs, therefore, his Though came as a mixture of Sufism and Salafism. The study aims to stand on cognitive tourism of Muhammad Ahmad al Mahadi and the effect of Sufism and Salafism in his though. The study is followed the analytical descriptive approach. Also, the study concluded that Muhammad Ahmad al Mahadi thought was formed through his contact with his shaykhs and the study of the referent books, but the major effect is Sufi thought that widespread in the Sudan at that time , besides Islamic Salafism that referred every thing to the Qur’aan and Sunna . The study recommend focusing on Muhammad Ahmad al Mahadi thought , who led revolution in the Sudan and drove Turks and Egyptians out of the Sudan. And his thought still alive among generations rather than focusing on Mahdi’s activities.

مقدمة

أدت حالة الضعف والتفكك الدينيّ والتخلف التي وصل إليها العالم الإسلاميّ في القرنين الثامن عشر وأوائل العشرين عشر إلى قيام العديد من الحركات الدينية الإسلامية التي قصدت تنقية المعتقدات الإسلامية وتطهيرها مما علق بها من محدثات وبدع التي إلتصقت بالإسلام. ومن أهم تلك الحركات الإصلاحية الحركة المهدية في السودان ، وهي حركة تجديدة اصلاحية دينية سياسية سلفية ذات ملامح صوفية استهدفت تحرير السودان من الحكم التركيّ المصريّ .

كان للسياحة المعرفية لمحمد أحمد المهديّ في طلب العلم لدى أشهر الشيوخ في ذلك الزمان من الخرطوم إلى كترانج ثمّ إلى بربر فالدامر المجذوب وود مدني والانتهاء إلى شيوخ السمانية والقرشي ود الزين ومن قبله محمد شريف نور الدائم جعلته غزير المعرفة ومنحته القدرة على فهم الأمور ووزنه جيّداً ، وجعل منه مفكراً ومصلحاً اجتماعياً شجاعاً ، وولّد فيه الانفتاح العقليّ وحرك فيه عبقرية الروح الثورية التي ابعدته عن قيود التقليد، وحرّك فيه النزعة التحررية التجديدية .

جاء قكر محمد أحمد المهديّ متأثراً بالصوفية التي هي أسلوب للتعامل والتفاعل مع اللإسلام ، وهي منهج للتربية وتزكية النفس وصفائها وتحليها بالأخلاق المحمودة وتخليها عن الصفات المذمومة . تلك المدرسة التي اعتنت بالجانب الروحي لتعاليم الإسلام وبمعاني قرآنية عظيمة . هذه المدرسة دخلت السودان على مرحلتين ، الأولى أيام حكم سلاطين الفونج والتي تميزت بالمركزية ، والثانية في عهد الإدارة المصرية ، فانتشرت في السودان وكان لها أفكارها ومبادئها .

كما تأثر فكر محمد أحمد المهديّ بالسلفية وهي مدرسة فكرية سنيّة تدعو إلى فهم الكتاب والسنّة بفهم سلف الأمّة ، والأخذ بنهج وعمل الرسول صلى الله عليه وسلّم وصحابته والتابعين

وتابعي التابعين بإعتباره يمثل نهج الإسلام ، والتمسك بما نقل عن السلف . فكان فكره خليطاً بين الصوفية التي يتناسب مع غالبية الشعب السودان المنتشرة فيه التصوف ، وبين السلفية والتي هي نفسها تجد القبول من معظم السودانيين المتدينيين بطبعهم .

أسباب وأهمية الدراسة :

جاءت هذه الدراسة عن الأثر الصوفيّ والسلفيّ في فكر محمد أحمد المهديّ لأنّ معظم الذين درسوا تاريخ الثورة المهدية تعاملوا معها وفق الأحداث في السودان دون الخوض في الفكر المحرك لهذا الأحداث ، لذا جاءت هذه الدراسة لمعالجة لتوضيح المؤثرات في فكر محمد أحمد المهديّ الذي ظلّ باقياً حتى بعد زوال الدولة المهدية ي السودان .

أهداف الدراسة :

يهدف هذه الدراسة إلى :-

١- تعريف الصوفية والسلفية وأهم مبادئهم الفكرية .

٢- الوقوف على السياحة المعرفية لمحمد أحمد المهديّ الذي جعل منه مفكراً ومصلحاً اجتماعياً

٣- توضيح أثر النزعة الصوقية والسلفية في فكر محمد أحمد المهديّ .

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

تكمن مشكلة الدراسة في الإجابة على الأشئلة التالية :

١- هل الثورة المهدية التي قامت في السودان نتيجة فكر أم حراك سياسي فقط؟.
٢- من أين تكوّنت الفكر المهدوي لمحمد احمد المهدي ؟ وما هي العوامل التي أثرت في فكره ؟ .

محاور الدراسة : تشمل الدراسة ثلاثة مباحث:

المبحث الأول :- الصوفية والسلفية

المبحث الثاني :- مبادئ وأفكار محمد أحمد المهديّ

المبحث الثالث :- الأثر الصوفي والسلفي في فكر محمد أحمد المهديّ

المبحث الأول :- الصوفية والسلفية

إنّ الأفكار هي العامل المحرّك للتاريخ كما قال هيجل :(ان التاريخ هو تاريخ الفكر ، لأنه يجب أن نركز على ما كان القادة يفكرون فيه حين أقدموا على اعمالهم ، لا ان نركز على ما قاموا به من أعمال وانشطة. فإن القوة التى تدفع التاريخ هو قوة العقل)(الحسن، ٢٠٠٥،ص٦٨).

فكر محمد أحمد المهديّ الذي قاده للقيام بالثورة في السودان هوخليط بين الصوفية والسلفية .حيث أنّ كل من الصوفية والسلفية أسلوب للتعامل مع الإسلام ، فمن الناس من تعامل وتفاعل مع الاسلام بالأسلوب أو المنهج السلفي ، ومنهم من تعامل وتفاعل معه بالأسلوب أو المنهج الصوفي . وقبل الحديث عن التأثير الصوفي والسلفي في فكر محمد أحمد المهديّ لابد من معرفة كل من الصوفية والسلفية ومعتقداتهم .

أولاً :- **الصوفية :-**

الصوفية هي منهج للتربية وتزكية النفس وصفاؤها وتحليها بالأخلاق المحمودة وتخليها عن الصفات المذمومة (محمود،١٩٩١،ص٤٣٨) .والتصوف هو صفاء الروح وممارسة الإسلام بدرجة عالية من الروحانية والحضور.

عرّف ابن الجوزي التصوف بأنّه روضة النفس ومجاهدة الطبع ورده عن الأخلاق الرذيلة ، وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق ، وهو أن يبلغ المؤمن درجة الإحسان التي هي أعلى الدرجات في التوجه إلى الله عزّ وجل . وهي نوعان :

١-التصوف السنّي : وهو التصوف المقيّد بالكتاب والسنّة وهو الذي يعطي الزهد والورع والإهتمام بأعمال القلوب كالمحبة والشكر.الإهتمام الأكبر.

٢- التصوف البدعي :وهو الذي اختلط فيه الحق مع الباطل والسنة مع البدعة فمثلاً إختلط الرقص مع الذكر والاوراد الشرعية مع الأوراد المبتدعة.

اعتنت الصوفية بالجانب الروحي لتعاليم الاسلام ، وبمعاني قرآنية عظيمة كالخشوع وصفاء القلب والصلة بالخالق والروحانية والحضور والرقة والتذلل إلى الله ومداومة الذكر والأوراد.

مصدر المعرفة في الصوفية أن العقيدة تثيت بالإلهام الروحي المزعوم للأولياء ، وأحيانا يتعلق بعضهم بالجن الذين يسمونهم الروحانيين حيث يعرج الروح إلى السماء وبالفناء في الله ، والخلاء مرآة القلب حتى يظهر الغيب كله للولي الصوفيّ حسب زعمهم وبالكشف ويربط القلب بالرسول صلى الله وسلّم حيث يستمد العلوم منه (أبو رمان ،٢٠٢٠،ص١٩.

أمّا القرآن الكريم والسنّة فإنّ للصوفية فيهما تفسيراً باطنياً حيث يسمونه أحياناً تفسير الإشارة ومعاني الحروف، فيزعمون أنّ لكل حرف في القرآن الكريم معنى لا يطلّع عليه إلا الصوفي المتبحّر المكشوف عن قلبه .

يذكر الصوفية أنّ هناك طريقان للهداية: أهمه هو طريق الهواتف وهذا يحمل الإنسان إلى ترك الدنيا والآباء والأمهات والدخول إلى البراري والغفار وهو على هذا النحو يري الأنبياء ويتكلم معهم ويأكل من الغيب لا من الشهادة حتى توصله إلى ولاية الله عزّ وجل . (عبد الخالق ،٢٠٠٦،ص٥٧) .

أنّ من أهم صفات المتصوفة الزهد والتقشف ، وانّ علم الله وقوته لا تقاس بمقاييس البشر والإيمان بالحضرة النبويّة . وذهب المتصوفة إلى تقسيم مراتب الولاية عندهم ، فهناك الغوث وهو أكبر الأولياء جميعاً وهو واحد في كل زمان ، وتحته الأتاد الأربعة كل واحد منهم في ركن من أركان العالم يقوم به ويحفظه ، ثمّ الأتاد السبعة كل واحد منهم في إقليم من أقاليم الأرض السبعة أي في كل قارة من القارات السبعة ، ثمّ هناك الأبدال وزعموا أنّهم أربعون كل ما هلك أحدهم أبدله الله بغيره لحفظ الكون . ثمّ النجباء وهم ثلاثمائة كل منهم يتولى شأن من شؤون الخلق (عبد الخالق ،٢٠٠٦،ص٢٣٩) .

ثانياً :-الصوفية في السودان

كان أول ظهور للطرق الصوفية في مصر ثمّ انتقل إلى سائر بلدان العالم الإسلامي ، وهناك بعض الطرق الصوفية نشأت وولدت خارج مصر إلا أنّها لم تنتشر إلا في مصر (مراد،١٩٩٧، ص٥١٦)

دخلت الطرق الصوفية السودان على مرحلتين متميزتين ، الأولى في أيام حكم سلاطين الفونج ، والثانية في عهد الإدارة التركية المصرية . تميزت طرق المرحلة الاولى بالمركزية ، بمعنى لم يكن لهم هيئة مركزية بل تسير على يد شيوخ منتشرين، ولم يدخل لها النظام إلا في

العهد المصري حيث يجتمع مريدو كل طريقة حول شيخ الطريقة الأكبر الذي كانت له الكلمة العليا ، والذي له خلفاء مجازون يمثلون في جهات مختلفة ولهم الحقّ المفوّض في تسليك المريدين. (مالك ،١٩٨٧،ص١٤٥)، ومن الطرق الصوفية التي دخلت السودان التجانية ، الاسماعيلية ، القادرية ، البرهانية ، الشاذلية ، والسمانية.

ثالثاً:ـ السلفية

السلف مصطلح اسلامي يشير إلى المسلمين الذين عاشوا في القرون الثلاثة الأولي من ظهور الاسلام الذين جاء الثناء عليهم في قوله صلى الله عليه وسلّم (خيركم قرني ثمّ الذين يلونهم ثمّ الذين يلونهم) (مصطفى ،٢٠٠٣، موقع واي باك مشين)

السلفية هي مدرسة فكرية سنيّة تدعو إلى فهم الكتاب والسنّة بفهم سلف الأمّة والأخذ بنهج وعمل النبيّ صلى الله عليه وسلّم وصحابته والتابعين وتابعي التابعين بإعتباره يمثل نهج الإسلام ، والتمسك بأخذ الأحكام من القرآن ومما صح من حديث النبيّ صلى الله عليه وسلّم ، يبتعد عن كل المدخلات الغريبة عن روح الإسلام وتعاليمه والتمسك بما نقل عن السلف ، فالخير كل الخير في الإتباع والشر كل الشرّ في الإبتداع . وأيضاً تستهدف إصلاح أنظمة الحكم والحياة عموماً إلى ما يتوافق مع النظام الشرعي الإسلامي.

هذه المدرسة ترى أنّ اتباع نهج السلف لا يكون إلا بموافاتهم في كل شؤون الحياة الدينية والدنيوية من مأكل ومشرب وملبس ومعاملة وطريقة حياة ، وهناك من يدعو إلى محاربة الجديد في الدين على أنّه بدعة مع الإختلاف في تحديد دقيق لمفهوم البدعة ، فمنهم من وسّع ومنهم من ضيّق ومنهم من وقف متحيراً ، فهناك من يعرّفها بأنّها كل أمر مستحدث في الدين ، فإذا لم تتعلق البدع بالدين فهي مباحة وأغبلهم يقصدون بالدين قسم الشعائر دون الشرائع (السراجي ،٢٠١٠ ،ص١٩) .

السلفية تياران :

سلفية علمية : وهي التي تدعو الناس إلى ما كان عليه الصحابة بعد ما فتن المعتزلة الناس بالكلام في الاسماء والصفات ، فأول من أحياها هو الإمام أحمد بن حنبل الذي دعى إلى ردّ كل شيء إلى الكتاب والسنّة ، ثمّ تجدد على يد شيخ الإسلام ابن تيمية لما كثرت البدع وفشت في بلاد المسلمين فنادى ابن تيمية بردّ الدين إلى رونقه وإلى أصل العقيدة وصحتها ، ثمّ أتى التجديد

على يد محمد بن عبد الوهاب الذي جاء كردّ فعل على شيوع البدع والخرافات التي سادت في منطقة نجد باللسعودية .

السلفية الجهادية :- يرتبط الفكر الجهادي السلفي بالعنف ضد الآخرين ممن يخالفونهم في الرأي وهو أسوأ انواع العنف لأنّها ومدفوعة بفكر ديني ، حيث يمارسه صاحبه وهو يرجو من ورائه الجنّة ورضا الرب عزّ وجل ، وقد يكون في الحقيقة أبعد من وضا الرب وأقرب لسخطه وغضبه ، قال تعالى : (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) (الكهف ،١٠٣،١٠٤). كما يرتبط هذا الفكر الجهادي بعدم التوازن في فهم الأشياء ثمّ الحكم لها أو عليها (يسرى،٢٠٢٠،موقع واي باك مشين) .

اعتنت السلفية بالحرص الشديد على التمسك بالكتاب والسنّة وبمعاني قرآنية عظيمة كالتوحبد ورسوخ الإيمان والتمسك بالنصوص والابتعاد عن الشبهات ، واعتبروا أنفسهم حراساً على علوم الدين من أن تشوبها أية شائبة أو تتسلل إليها أية ضلالات من الثقافات والفلسفات الغربية .

إنّ الإنطباع العام لدى عامة المسلمين هو أنّ السلفية والصوفية منهجان متعارضان متنافران لا يلتقيان ، ولكن في الحقيقة هذه الصورة خاطئة ، فكلاهما قدّم للأمّة وللعلوم الشرعية ما يثري كل بيت مسلم، ولكن هناك تطرف وهذا شأن كل فئة من الفرق الاسلامية نجد من يتطرف في فكره ويشدد في سلوكه حتى ينحرف عن الطريق القويم بسبب ارتباكات في فكره وشخصيته ليس بسبب المنهج الذي انتهجه هذا الشخص .

فنجد في الصوفية من انحرف كل الانحراف عن الصوفية الحقيقية وصار سلوكه أقرب إلى الشعوذة والطقوس التي لا تمد إلى الاسلام بصلة ، وكذا الحال في السلفية الحقيقية فصار سلوكه أقرب إلى التشدد والغلظة في الدين المنفرة . لذا لا يصح أن تعمم وتنسب شذوذ الأفراد إلى منهج بكامله ((مصطفى ،٢٠٠٣، موقع واي باك مشين) .

المبحث الثاني :- مبادئ وأفكار محمد أحمد المهديّ

أولاً:- المؤلات العلمية لمحمد أحمد المهديّ

لقي محمد أحمد المهديّ حظاً وافراً من التعليم مقارنة بالنسبة لكثير من معاصريه في السودان. بدأ محمد أحمد المهديّ يتعلم القرآن وهو صغير في الخرطوم على يد الشيخ شرف

الدين عبد الصادق ، ثمّ الفكي محجوب الحبشيّ ، ثمّ التحق بخلوة بُري حيث واصل تعليم القرآن الكريم عند الشيخ الفكي محمود المبارك ، ثمّ ارتحل إلى قرية كترانج التي تقع جنوب الخرطوم والتي تعدّ جامعة بمعايير ذلك الوقت حيث كان غالبية المعلمين فيها من خريجي الأزهر الشريف ، وانخرط في معهده متتلمذاً على يد الشيخ الأمين الصويلحي ، وظلّ بها سنتان أكمل فيها دروسه، حين درس العديد من الكتب التي تعتبر دراستها في ذلك الوقت ضرباً من ضروب العبقرية (القدال، ٢٠٠٦،ص١٦٤) .

تاقت نفس محمد أحمد المهديّ لتلقي العلم بالأزهر الشريف في عام ١٢٧٩هـ فخرج مسافراً بهذه النيّة ، وفي بربر أخبر الشيخ السمّاني ولد فزع تلميذ الشيخ محمد خير بما استقرّ عليه رأيه من الهجرة إلى الأزهر الشريف ، فصرف الشيخ السماني عنه ذلك بحجة أنّ شيخه له الإلمام التام بعلم الفقه وتدريسه وواسع الإطلاع والإنتظام في مجالس دورسه يغني عن السفر لمصر . استجاب محمد أحمد المهديّ لمشورته وانكب في طلب العلم عند الشيخ محمد الخير عبد الله الخوجلي في خلاوى الغبش في الشاطئ الغربيّ لمدينة بربر .وهنالك أكمل محمد أحمد المهديّ مختصر الخليل ' ودرس علوم التوحيد والفقه (الأقوال المروية ،١٩٦٥،ص٤) .

اتصل محمد أحمد بالمجاذيب بالدامر ودرس النحو على يد الشيخ حسين المجذوب وهناك احتك بالتيارات التي كانت تموج بالطريقة المجذوبية فثبتت أقدام محمد أحمد على العلوم الأسلامية والتصوف (القدال، ٢٠٠٦،ص١٦٥) .

بعدها انتقل محمد أحمد إلى الشيخ محمد شريف نور الدائم في (أمّ مرحي) بالجزيرة شيخ الطريقة السمّانية وهناك مالت نفسه إلى التصوف أكثر وبقي فترة طويلة درس علم التصوف ومارسه كطريقة ، وهناك حدثت تحولا كبيرة كان لها عظيم الأثر في تشكيل شخصيته كما قال عنه شيخه كان يحفظ الفتوات المالكية عن ظهر قلب (شبيكة ،١٩٦٥،ص١٤١).

ذهب محمد أحمد إلى الشيخ القرشي ود الزين في الحلاويين فأدخله في سلك الطريقة السمانية وجدد له إجازة الخلافة ، وأنّه عهد اليه بما أخذ يتعلم عنه من الشهادات وأشار اليه بالسياحة في أنحاء السودان لاستطلاع أفكار الناس وأخذ العهود عليهم ، ولكن الشيخ القرشي قد عزل محمد أحمد عن الطريقة عند ما صدع بدعوته ، فأصدر الشيخ القرشي ود الزين منشوراً على أتباعه يبلغهم أنّه عزل محمد أحمد عن الخلافة وأبعده عن الطريقة وذكر فيه عيوبه وطموحه ودعاويه الكاذبة (فوزي باشا ،٢٠١٠،ص٧٣) .

تأثر محمد أحمد بالتصوف سواءً كان بالتصوف السلوك الذي هو الزهد الذي كان سائداً في السودان في القرن التاسع عشر أو التصوف الفلسفيّ الذي وصله عبر كتابات محيّ الدين بن عربي.

أتقن محمد أحمد المهديّ مبادئ النحو والتوحيد والفقه والتصوف واشتهر بين أقرانه بالتعبد والتقوى والزهد . فكان تلك السياحة المعرفية لمحمد أحمد المهديّ من طلب العلم لدى أشهر الشيوخ في ذلك الزمان من الخرطوم إلى كترانج ثمّ إلى بربر فالدامر المجذوب وود مدني والانتهاء إلى شيوخ السمانية والقرشي ود الزين ومن قبله محمد شريف نور الدائم جعلته غزير المعرفة ومنحته القدرة على فهم الأمور ووزنه جيّداً وجعل منه مفكراً ومصلحاً اجتماعياً شجاعاً ، وولّد فيه الانفتاح العقليّ وحرك فيه عبقرية الروح الثورية التي انفرد ت بطبيعة تكوينها من قيود التقليد إلى النزعة التحررية التجديدية .

ثانياً :- مبادئ وأفكار محمد أحمد المهديّ

بدأ محمد أحمد المهديّ في بثّ مبادئه وأفكاره في الجزيرة أبا والقبائل المجاورة لها عند ما بنى جامعاً للصلاة وخلوة للتدريس والتعبد ، سالكاً منهجاً قويماً في العبادة والزهد والغيرة على الدين وداعياً إلى مجتمع ديني يأخذ مقوماته من المجتمع الذي أقامه الرسول صلى الله عليه وسلّم وصحابته . وقد وجد محمد أحمد المهديّ أتباعاً ومريدين وعاهدوه على السمع والطاعة والتمسك بأوامر الدين والإنتهاء عن نواهيه والاستعداد لنصرة الحق وإقامة سنن الشريعة الإسلامية ,

زادت شهرة محمد أحمد المهديّ عند ما خالف شيخه محمد شريف في حفل ختان أنجاله عند ما اجازالرقص والغناء واللهو ، بعدها بدأت إتصالاته بالعلماء ورجال الدين خاصة المرتبطين بالحكم التركي المصري دعاهم إلى الزهد في الدنيا والأمتثال للآخرة .

كما كتب إلى بعض رجال الدين والعلماء يعلمهم أنّ الدين قد أصبح غريباً بسبب شيوع البدع ومظاهر الشرك ويدعوهم للوقوف معه لإقامة الدين وأحياء سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلّم. كما اتصل بزعماء القبائل والعلماء ورجال الدين وشيوخ الطرق الصوفية وأصحاب الشأن في البلاد يدعوهم للعودة إلى تعاليم الدين الصحيح ونقد البدع ومظاهر الشرك والفساد ، فوجد آلاف المؤيدين .

أعقب ذلك رحلته إلى غرب السودان داعياً اتباعه لتطهير الإيمان وتغيير الأوضاع والعودة بالمسلمين والبلاد إلى الدين الصحيح والرجوع إلى أيام رسول الله صلى الله عليه وسلّم وصحابته وإقامة مجتمع إسلامي يلتزم في حكمه بالشريعة الإسلامية .

عند ما أيقن محمد أحمد المهديّ من إمكانية نجاح دعوته فكّر في الشكل والأسلوب الذي يناسب ظروف السودان آنذاك فإهتدى إلى فكرة إسلامية أخذ بها بعض الصالحون والمجددون حظيت بإنتشار واسع في السودان وهو ظهور المهديّ عند ما يستشري الظلم والجور في المجتمع وتجعله رمزاً للعدل والخير والصلاح التي انتظرها المسلمون في السودان لتنقذهم من الأوضاع السيئة متمثلة غي مظالم ومفاسد الأتراك . في الوقت نفسه نشطت في السودان الطرق الصوفية وتعددت فيه المدارس القرآنية الدينية في بلد كان يؤمن بأنّ سلطان الدين يعلو فوق كل شيئ ، فكان السودانيون في مختلف قبائلهم يرون أنّ الزمان يسير من سيئ إلى أسوأ وأنّ الدين لم يعد في صفائه ونقائه (كرار ،٢٠٠٧،ص١١١) . فأعلن محمد أحمد انّه المهديّ مؤيداً من الله ورسوله ليعود بالمسلمين إلى الدين الصحيح ويقيم الحكم اللإسلامي الملزم بالقرآن الكريم والسنّة المطهرة .

هكذا بدأ فكر محمد أحمد المهديّ متكاملة المراحل والحلقات وأنّ فكره مرتبط بتجديد الدين وإصلاح المجتمع . ثمّ هي دعوة حركية ثورية إيجابية تتفاعل مع هموم وقضايا الجماهير، حيث عزز المهديّ في نفوس أتباعه أنّ الدين دينهم والعرض عرضهم والوطن وطنهم .

بالنظر إلى التراث الفكريّ والفقهي لمحمد أحمد المهدي تظهر فيه بوضوح الإتجاه الصوفي بحكم طبيعته والطرق الصوفية التي كانت سائدة في ذلك العهد، والأثر السلفي الذي يدعو إلى ضرورة العودة إلى الكتاب والسنّة دون غيرهما من الكتب ، والعودة بالدين إلى صفائه السابق متمسكاً بمنهج السلفية الذين يعتمدون على الحديث الذي أخرجه أبو داؤود في سننه وأحمد في مسنده: (عليكم بسنتي وسنّة الخلفاء الراشدين من بعدي وعضوا عليها بالنواجز ، وإيكم ومحدثات الأمور فإنّ كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار (العجيلان،١٤١٩هـ، ص٥٠)

.



المبحث الثالث :- الأثر الصوفي والسلفي في فكر محمد أحمد المهديّ

أولاً :-الأثرالصوفيّ في فكر محمد أحمد المهديّ

ظهر الأثر الصوفي بوضوح في فكر محمد أحمد المهديّ ، والدليل على ذلك تناوله لفكرة المهدية الذي جاء نابعاً من تصوفه حيث كان يكرر القول بأنّ العلماء لا يدركون مهديته بمقاييسهم العلمية وإنّما يدركها أهل البصائر، وحين ولادته عرفه أهل الباطن والحقيقة لا العلماء .وقوله بأنّ علم الله وقوته لا يمكن قياسهما بمقاييس البشر ، وادعائه بأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال : أنّ عدم الإيمان بالمهديّ كفر بالله ورسوله (هولت ،١٩٧٨،ص١٢٥) . وانّ المهدي يأخذ من مشكاة النبوة بغير وساطة جميع الأحكام فهو ترجمان الحضرة النبوية والواسطة العظمي بيننا وبين النبيّ صلى الله عليه وسلّم في تبليغ جميع الأحكام الإسلامية (الكردفانيّ،١٩٨٢،ص٨٢) . وجاء في منشورات المهديّ يقول عن نفسه : (... واعلمني النبيّ صلى الله عليه وسلّم بأنّي المهدي المنتظروخلفني رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجلوس على كرسيه مراراً بحضرة الخلفاء الأربعة والأقطاب والخضر عليه السلام وجمع من الأولياء الميتين وبعض من الفقراء الذين لا يعبأ بهم ...) (أبوسليم،١٩٧٩،ص٢٤) .

ومما يؤكد أنّ أصل المهدية من التصوف ما جاء على لسان شبخه الشيخ الطيب في أنّ المهدية قد اشتهرت على أسس الطرق الصوفية وعددها ستة، إضافة إلى أسسها الذاتية وعددها ستة فصارت المهدية يقوم على اثني عشرة أساً فأصبحت أعلى وأسمى من الصوفية ، فقد وصف الشيخ الطيب في حضرة تنصيب المهديّ فقل: (الطريقة فيها الذل والإنكسار وقلة الطعام وقلة الشراب والصبر وزيارة السادات فتلك ستة ، والمهدية أيضاً فيها ستة الحرب والعزم والحزم والتوكل والإعتماد على الله وإتفاق القول فهذه اثني عشرة لا يجتمع لأحد إلا لك),

من أثار التصوف هو أنّ المهدي سمّى حركته الطريقة كما تسميّ الصوفية طرقهم ، وانّه دائما يعتني بالتسبيح والبسملة والصلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلّم والأدعية على نحو ما يفعل الصوفية . بالإضافة إلى اعتماده على البيارق التي رفعها وهي بيارق الصوفية ، ولحمل هذه الراية لون طريقة القطب ، فعند ما تحركت الحكومة لضرب المهديّة في جزيرة أبا كتب المهديّ خمس رايات رفع عليها شعار لا اله إلا الله محمد وسول الله ، وعلى أربعة منها كتب على كل واحدة منها اسم واحد من الأقطاب المتصوفة وهم الجيلاني ، الرفاعي، الدسوقي والبدوي ، أما

الخامسة فقد كتب عليها محمد المهديّ خليفة رسول الله وعلى ذلك يزعم أنّه الإمام والمهديّ خليفة رسول الله .

أيضاً من تصورات المهديّ في الصوفية اعتماده على الرمز في كثير من توضيح الأمور ، بالإضافة إلى تسمية أعوانه في الأقاليم بالخلفاء على نحو خلفاء الطرق الصوفية .

من تصورات المهديّ في الصوفية الإستعانة بالحضرات النبوية في تبرير أقواله حيث يقول أنّه أتته الحضرة ورؤية النبيّ صلى الله عليه وسلّم يقظة وأنّ الأولياء يخبرونه بالأمور ، والقول بأسرار الأمور التي لا يراها إلا الخاصة ، والقول بجنة العامة هى ملزات الآخرة ،وبجنة الخاصة هي التمتع برؤيته سبحانه وتعالى ، بالإضافة إلى التفسير الباطن للقرآن الكريم والقول بالتوكل المطلق في الأمر .والقول بأنّه قد حصلت حضرة عظيمة مع النبيّ صلى الله عليه وسلّم والخلفاء الأربعة ومع المهدي وأصحابه فنزل ملك من السماء ومعه تاج أخضر فسلّم على الرسول صلى الله عليه وسلّم وقال له ربك يغريك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك هذا تاج النصر هديّة مني إلى الإمام المهديّ عليه السلام لنصرة الدين الحقيقيّ (أبوسليم ،١٩٧٩،ص١١١).

ومن الآثار الصوفية إتخاذ المهديّ راتباً له الذي تتكون من الأدعية والإستغاثات ويسمّى بالحزب القرآني وقد اشار المهديّ إلى ذلك بصيغة الجمع (رواتب) ذكر فيه الأوردة والورد أصلاً ما يقرأ في أوقات منتظمة .

ومن الآثار الصوفية لدى المهديّ التواضع وعدم البطر والإتغماس في الملذات والبزخ والتقرب إلى طبقات المجتمع والدعوة إلى الإنفاق ، ومن الآثار الصوفية لبس الجبة المرقعة هو واتباعه حيث يقال أنّ النبيّ صليى الله عليه وسلّم جاءه في الحضرة ومعه الشيخ عبد القادر الجيلاني لابس جبة وعليها سيور فقال الشيخ : يا سيدي يا رسول الله الناس منكرون الجبة ويتعففون عنها أفهي سنّة واردة عنك أم لا ؟ فيقول : صلى الله عليه وسلّم ذات الإنسان رقع : في رأسه رقعة زرقاء ،وباطن شفتية رقعة حمراء وأسنانه رقعة بيضاء وأظفاره رقعة صفراء ويقول الرسول صلى الله عليه وسلّم : الرقع أربعة بيضاء وزرقاء وحمراء وصفراء ويقول صلى الله عليه وسلّم: لولا أنّي خشيت عليك أن تصير مغشياً لأريتك جبب الخلفاء الأربعة (أبوسليم ،١٩٧٩،ص١٧) ، يحاول المهديّ هنا أن يربط الألوان بجسم الأنسان ليجعلها أمراً أساسياً . كما أنّ أهل الطرق الصوفية من قبل المهديّ يتهمون بالألوان ، فكل طريقة تتخذ لوناً

معيناً يميزها عن الطرق الأخرى ، وهنا إشارة إلى أنّ المهدية حوت مآثر هذه الطرق الصوفية واستوعبتها.

على الرغم من أنّ المهديّ صوفياً وتأثر بالتصوف كثيراً إلا أنّه أصدرمنشوراً أبطل فيه الطرق الصوفية وذلك لوقف الخلاف بين المسلمين ، وأشار بذلك بقوله : (تعددت الطرق واختلفت حتى ظنّ أن كل شيخ يقوم بتأسيس دين جديد وأنّ غيره من زعماء الطرق خارج عن الدين ، وحتى ضلّ القوم ضلالاً مبيناً وأصبحوا يوجهوا أنظارهم إلى مشايخهم بدلاً من الدين الأصلي والقرآن والسنّة المطهرة)(أبوسليم،١٩٧٩،ص٦٣) .

اذن سعى المهديّ بعد أن دامت له الأمور أن يكبح جماح الطرق الصوفية التي أصبحت عددها في تنامي وإزدياد وأن يقرر النفوذ والسيطرة لطريقته وأن يقطع دابر التعلق بتلك الطرق التي ناصبه شيوخها العداء ، مؤلفاً لهم ورداً يقرأونه يومياً وهذا أيضاً جعله يدخل في بوتقة الصوفية .

ثانياً :- الأثرالسلفيّ في فكر محمد أحمد المهديّ

ظهر عقيدة السلفية بوضوح في مناشيره ومنهجه الإصلاحي ، فقد أعلن محمد أحمد المهديّ أنّه يعمل بآثار السلف المهديين السابقيين على نهج محمد صلى الله عليه وسلّم ويدعو إلى عقيدة السلف في التوحيد وهي التي تنكر في الوسائط بالأولياء والصالحين أحياء كانوا أو أموات ، ومنع الإستغاثة بغير الله ولو كان نبياً ورسولاً أو ملكاً ، بالإضافة إلى تحريم التسمية بالعبودية لغير الله وهدم القباب ومنع التوصل إلى الأولياء والصالحين . وقد تحدث إلى اتباعه في منشورات البيعة له قائلاً ": (انظروا إلى ابتلاء ابراهيم عليه السلام في توحيد الله تعالي وإكتفائه به فأنّ من جملته أنّه قذف في النار فعارضه جبريل عليه السلام في الهواء فقال له ألك حاجة ؟ فقال : أما اليك فلا وأمّا إلى الله فبلى ، فلمّا وقع في النار صارت عليه برداً وسلاماً ، فكذلك من يبتليه الله فيصبر على رؤية توحيد الله مكتفياً به عن الأغاثة بغيره يسلم كما سلم ابراهيم عليه السلام ، وقد أمرنا الله تعالى أن نتبع سكة ابراهيم (أبو سليم،١٩٧٩،ص٢٤، مراد ،٢٠٠٧،ص٢٩٤) ،فقال : (ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول...) (الحج ،٧٨) ، فاتبعوا أحبابي كلام الله في القرآن ولا تتبعوا ترهات فايت الزمان وقد بايعتموني على أن لا تشركوا بالله شيئاً .

وتبدو من آرائه السلفية بأنّه دعى في أفعاله وأقواله بل في جميع حركاته وسكناته مؤيداً بالكتاب والسنة، ودعوة أصحابه إلى اتباع مناهج السادة الأبرار والتخلّق بأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلّم واتباع سنته . ويذكر ابوسليم في سلفية المهديّ أنّه اتبع دين الحق واتبع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم الذي أحيا ما اندرس من حلل الأنبياء والمرسلين، وأنّ جميع الأنبياءعليهم السلام لو حضروا ما سلكوا غيرملته وكلهم يتمنون أن يكونوا من أمته وممن حضر بعثته ، وما بعد لا يقبل الله ديناً غير سكته (أبوسليم ،١٩٧٩، ص٣٢١) .

ومن تأثراته السلفية أنه أبطل في منشوراته المذاهب الأربعة بإعتبارها اجتهاد بشري غير ملزم للمسلمين ، ولا شك أنّ المهدي مدرك كامل الإدراك لمدى خطورة قراره ، وبرى أنّ كل ما كتب من إجماع وقياس وتفاسير تتناول مسائل فرعية لا قيمة لها من حيث الأركان الأساسية للعقيدة الأسلامية ، وقال أنّ العلماء حفظوا الحواشي والمتون فقط وأنّهم ربطوا أنفسهم بالمذاهب الأربعة ، وانقسم العالم الأسلامي بذلك إلى طوائف تقوم به التقليد ، لذا نادى بالرجوع إلى المصدر الأصلي الأول وهو الكتاب والسنّة وفتح باب الإجتهاد في الدين . وهذا يعني أن ابتدأ خط مشروع جديدوهو مشروع تجديدي اصلاحي يهدف إلى تحرير عقل المسلم من استعمار الشروح ، وهو المناداة بإعادة قراءة وتفسير جديدين للنص في ضوء المعارف والحقائق الواقعية الجديدة ، مع أنّه أقرّ كتاب كشف القمة للشعراني والسيرة الحلبية وتفسير روح البيان للبيضاوي وتفسير الجلالين (كرار،٢٠٠٧ ،ص٨٦) .

ومن الآثار السلفية منع البكاء على الأموات وحرّم الإشتغال بالرقيّ والتمائم ، وحارب شرب الدخان وخاصّة التمباك وزراعته والإتجار به وشدد في تحريمه . كما أنّ المهديّ تقفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلّم في تعيين الوظائف ، فعيّن قاضي الإسلام على الرغم من أنّ المهديّ كان القاضي الأعلى في دولته مثل ما كان صلى الله عليه وسلّم وخلفائه الراشدين ، حيث أنّه أسند منصب قاضي القضاة أو قاضي الإسلام إلى الشيخ أحمد ود جبارة وجعل دونه قضاة ونواب .

كما تظهر عقيدة المهديّ السلفية ومنهجه السلفيّ في إعلانه للجهاد السلفي واستشهاده بالكثير من الآيات القرآنية ومن السنة المطهرة ، حيث جاء في منشور الجهاد (... وجاهدوا في سبيله كما أمركم ولا تخاغوا من عدوه الذي ناصيته بيده وما آمركم بجهاد العدوإلا لتناولوا عظيم الأجر والقرب من الله والنجاة يوم الحشر ...) (أبوسليم ،١٩٧٩،ص١١٥،١١٣) ،(يَا

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ...) (التوبة ،٣٨) ، حيث يرى المهديّ التغيير يكون بالجهاد القتالي وهو فريضة الوقت وهو ما يسمّى في الاعلام السلفية الجهادية ، وبرى أنّ حكومات البلاد الاسلامية عمّها الاستعمار ومرتدة لأنّها تحكم بغير شريعة الله وتطبق القوانيين الوضعية وتوالي أعداء الله وتحارب أولياء الله .

الخاتمة

من خلال دراسة هذا الموضوع خلصت الدراسة إلى أنّ المهديّ تلقى علوم القرآن والفقه والتوحيد والنحووعلوم التصوف على يد علماء ومشايخ أجلاء في ذلك الزمان جعلته غزير المعرفة ومنحته القدرة في أن يكون مفكراً ومصلحاّ اجتماعياً ظهرت فيه ورح الثورية المتفتحة عن قيود التقليد ، وولدت فيه النزعة التحررية التجديدية .

تأثر محمد أحمد المهديّ بالمدرسة الصوفية التي كانت منتشرة في السودان فصار على مراتب المتصوفة ، إذ وضع اتباعه في مراتب متفاوتة وفي مرتبة أكبر من مرتبة القطب الصوفي المعروف وهو عبد القادر الجيلاني ، ووضع اتباعه في مرتبة أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلّم ،وهو نفسه خليفة رسول الله . كما سمّى المهديّ حركته بالطريقة ، واعتماده على بيارق الصوفية ، و على الرمز والاستعانة بالحضرات النبويّة في تبرير أقواله وأفعاله.

أمّا الأثر السلفي كان واضحاً في مناشيره ومنهجه الإصلاحي ، حيث أنّه اتّبع في أفعاله وأقواله وجميع حركاته وسكناته مؤيدا بالكتاب والسنّة وتقفّي أثر الرسول صلى الله عليه وسلّم . كما ظهر أثر السلفية بوضوح في اعلانه الجهاد السلفي ضد الأتراك .

التوصيات:-

توصي الدراسة بالتركيز على فكر محمد أحمد المهدي ذات الجزور السلفية المؤيدة بالكتاب والسنة بجانب الملامح الصوفية فيه الذي ظلّ أثره إلى يومنا هذا في السودان، لا التركيز على ما قام به المهديّ من ثورة حرر من خلالها السودان من الحكم التركيّ المصري.

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً: المراجع



١- أبو رمان ،محمد سليمان (٢٠٢٩م) ، أسرار الطريق الصوفي ، عمان : مؤسسة فريدريش .

٢- بشرى ، محمد ، بين العلمية والجهادية ،من موقع واي باك مشين .

السراجي ،كريم ، الأسس الدينية للإتجاهات السلفية ، دارالسلام ، بيروت ، ٢٠١٠.

3-.ب.م .هولت (١٩٧٨) ، المهدية في السودان ، ترجمة جميل عبير ، القاهرة : دار الفكر العربي .

٤- الحسن ، رحاب صلاح الدين (٢٠٠٥) ،طبيعة الحقيقة التاريخية بين الفلسفة الغربية والفكر الاسلامي ، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم

٥- كرار ، علي صالح (٢٠٠٧) ، الطريقة الإدريسية في السودان ، الأمانة العامة لمشروع سنار عاصمة الثقافة الاسلامية.

٦- الكردفاني ، اسماعيل عبد القادر(١٩٨٢) ، سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهديّ ، بيروت: دار الجيل.

٧- مالك ، محمد محجوب (١٩٨٧) ، المقاومة الداخلية للحركة المهدية ، بيروت: دار الجيل.

٨- محمود ،عبد الحليم (١٩٩١) ، فقه التصوف – المدرسة الشاذلية ، القاهرة : دار المعارف.

٩- مصطفى ، مصطفى محمد بن (٢٠٠٣) ، أصول وتاريخ الفرق الإسلامية ، مكتبة حيدر الفؤاد ، ، من موقع واي باك مشين .

١٠- مراد ، سعيد (٢٠٠٧) ، الفرق والجماعات الدينية في الوطن العربي ، مصر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

١١- عبد الخالق ، عبد الرحمن (٢٠٠٦) ، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ، الكويت.

١٢- العجلان ، عبد الله يوسف (١٤١٩ه) ، أخطاء في العقيدة (سلسلة دروس العقيدة) .



١٤- فوزي باشا ،إبراهيم (٢٠١٠.م، السودان بين يدي غردون وكتشنر ، الخرطوم : الدار السودانية للكتب

١٥- القدال ، محمد سعيد (٢٠٠٦) ، تاريخ السودان الحديث ، أم درمان : مركز عبد الكريم ميرغني

١٦- شبيكة ، مكي (١٩٦٥)، تاريخ شعوب وادي النيل مصر والسودان في القرن التاسع عشر الميلادي ، بيروت : دار الثقافة .

١٧- الأقوال المروية في تاريخ المهدية (١٩٦٥)، جمع وترتيب عبد الله محمد أحمد ، الخرطوم : المطبعة الحكومية.

١٨- منشورات المهدية (١٩٧٩، ط٢)، تحقيق محمد ابراهيم أبوسليم ، ، بيروت : دار الجيل .